جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

قسم الفلسفة الإسلامية

تطور المذهب الاعتزالي بعد القرن الرابع الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية

إعداد الطالب

محمد عيسى سليمان الكساسبة

إشراف

الأستاذ الدكتور: مُحمّد السيّد الجليَنْد

أستاذ الفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ

نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ

وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ

وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[**سورة النمل**، جزء من الآية (١٩)]

الإهداء

- إلى من ربط الله تعالى رضاه برضاهما، ومعصيته بعقوقهما، وجعل الجهاد في خدمتهما جهاداً في سبيله.

أبي وأمي، حفظهما الله تعالى وأطال في عُمُرِيهما بالصالحات

- إلى من سدّ الله بهم عضدي، وجلا حزني، وأزاح غربتي، زينتي في الرخاء، وعصمتي على البلاء، ستري من الكروب، وعوني على الخطوب.

إخوتي وأخواتي، أعزهم الله تعالى ورفع شأنهم في الدنيا قبل الآخرة

- إلى من يحتفي بهم ويُدعون كُبراء في ملكوت السماوات، العُلماء العاملين المُعلِّمين الثقات.

أساتذتي ومشايخي، مدّ الله في أيامكم وجعلكم ذخراً للطالبين وكعبة للقاصدين.

إليكم جميعًا، أُهدي هذا الجهد المتواضع تعبيراً عن محبة واجبة صادقة، وترجمة لبعض ما تعلمته في رحابكم من وفاء.

الباحث

شكر وتقدير

أولُ الشكرِ وآخرُه ومبدأُ الحمدِ ومنتهاهُ لله ﷻ، وليّ كل نعمة وفضل، وبيده العون ومنه التوفيق والسداد، وبعد،

فإنّ الشكر كلمةٌ طيبةٌ لا يلجأ إليها الإنسانُ إلا عندما يُثقل كاهله عظيم الإحسان، فإذا كان الاعترافُ بالحق فضيلة، فإن إسداءَ الشكر لمستحقيه فريضة، اهتداءً بقول النبي الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم: **"من لا يشكر النّاس لا يشكر الله"**، ومن هنا لا يسعني في هذا المقام، إلا أن أتوجه بخالص شكري وتقديري والاعتراف بالجميل لمدرسة الفلسفة الإسلامية المتمثلة بشخص إنسانية أستاذي الفاضل وشيخي الجليل **الأستاذ الدكتور مُحمّد السيّد الجَلَيْنْد، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر**، وقد ألفيته - بحق- كما قال الشاعر الحكيم:

فوجدت كل الصيد في جوف الفرا ووجـدت كلّ النّـاس في إنسـان

فقد تفضل سيادته - مشكورًا- بقبول الإشراف على هذا البحث، فكان ذلك شرفًا للبحث وفخرًا للباحث؛ حيث أسبغ على هذا العمل وصاحبه من فيض علمه وكمال أستاذيته ما أقال به العثرات، وفرّج به الكُربات في مواطن كثيرة؛ فلقد كان لخبرته الطويلة، ومراسه المتواصل في هذا المضمار أكبرُ الأثر في أن يخرج هذا البحث على صورته التي نأمل أن تكون عليه، فجزاه الله عنّي وعن جميع زملائي خير الجزاء، ومدّ الله في عُمره مسرورًا غير محزون، وموفورًا غير مُنتقص، وممنوحًا غير مُمتحن، ومُعطًى غير مُستلب، ووفقه الله تعالى في أحواله كلّها بما يستديم به النّعم ويستحق به المثوبة.

كما يسعدني - بل ويشرفني- أن أجد في هذه اللجنة الكريمة أستاذًا كبيرًا وعالمًا جليلاً تشهد له صفاته الحميدة، وكتاباته القيمة، ومناقشاته الكثيرة، التي أثرت المكتبة الفلسفية فكانت منهل فائدة عظمى، ألا وهو **الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد أستاذ الفلسفة الإسلامية، ووكيل كلية التربية بجامعة الإسكندرية**، فقد تفضّل بالمأثور من كرمه والمذكور من فضله بقبول مناقشة رسالتي؛ لتقويم اعوجاجها، وتوجيه كاتبها رغم ازدحام وقته وكثرة أعبائه، وستكون ملحوظاته موضع عنايتي وموطن رعايتي، سائلاً المولى ﷻ أن يمُنّ على سيادته بكل خير ليظل نبراسًا علميًا يُهتدى به، وأن يقرَّ عينه في الدنيا والآخرة... ويجزيه عني بما هو أهله.

شكر وتقدير

ثمَّ أتوجهُ بالشكر الجزيل الخالص، والثناءِ العطر الجميل إلى أستاذيَ الفاضل والأبِ المربي، **الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية**؛ لِتفضّله بالموافقة على الاشتراك في لجنة المناقشة والحُكم على هذه الأطروحة، وتحمله عنَاء قراءتها رغم ضيق وقته ومشاغله الكثيرة، وقد ألفيناه عالماً فذاً وأباً حانياً، عظيمًا في تواضعه، كبيرًا في ترفعه، حنونًا في توجيهه، عالمًا في فكره، ولا يسعني أمام عجزي عن وفائه حقه إلا أن أدعو الله ﷻ أن يبقيه للعلم ذخرًا، ولطلابه سندًا وعونًا، راجيًا الله تعالى أن يتولى عني وعن كل من تتلمذ على يديه جزاءه أكرم وأفضل الجزاء.

وإن أنسى فلن أنسى البحّاثة الدؤوب والأكاديمي الرصين، أستاذنا **الأستاذ الدكتور مختار محمود عطا الله، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، ورئيس وحدة ضمان الجودة بالكلية**، فلقد كان لسيادته فضلٌ قديمٌ عليّ؛ حيث استفدت من منهجيته المتميزة، وتوجيهاته القيمة أثناء إشرافه على هذه الرسالة في مراحلها الأولى، قبل أن يُنتدب للعمل في الجامعات السعودية، وقد تمّم الفضل بقبوله مناقشة رسالتي والحكم عليها، إلا أنّ مشيئة الله ﷻ قد حالت دون مناقشته لهذه الأطروحة؛ بسبب ما ألمّ به من مرض، ولا نملك إلا أن نتوسل إلى الله العلي القدير أن يمن على سيادته بالشفاء العاجل، وأن يجعل المكروه الذي أصابه مُكفرًا وطهورًا، إنه سميع مجيب الدعاء.

ودعائي الخالص المقرون بكل الحبّ والتقدير والتعظيم إلى من أنا مَدِينٌ لهم بكل خيرٍ وفضلٍ ونعمةٍ بعد الله ﷻ، إلى الذين لم أصِلْ إلى مقعدي هذا إلا بفضل دعائهم وتربيتهم وبذلهم، إلى والديَّ وأهلي أمدَّ الله تعالى في أعمارهم وجمعني بهم في كل خير.

كما أتقدم بعظيم شكري وبالغ تقديري إلى جامعة القاهرة ممثلة بكلية دار العلوم؛ حيث منحتني شرف الانتساب إليها والدراسة فيها، نهلت من معينها الصافي وما زلت ظامئًا، فلها كل التقدير والاعتزاز، وجزا الله القائمين عليها خير الجزاء.

شكر وتقدير

ولا يسعني ـ وأنا على شفا مفارقة هذه البلدة الطيبِ أهلُها ـ إلا أن أعبّر عن امتناني وعرفاني لمصرَ، كِنانة الخير، ومنهل العلم والمعرفة، الطيّبة أهلاً، الكريمة منبتًا وأصلاً، سائلاً المولى ﷻ أن يحفظها من كيد الكائدين وعبث العابثين...، وأن يجعلني من أهل ودِّها ومحبتِها.

ولا يفوتُني أن أتقدم بخالص محبتي وولائي وتقديري إلى بلدي العزيز الأردنّ، أرض الحشد والرباط، البعيد مسافة القريب حبًّا ووفاءً، جعله الله تعالى واحة أمنٍ وأمانٍ، وحماه من مكائد الشانئين والمُبغضين... .

وأخيرًا، أرفع أكف الضراعة إلى الله ﷻ أن يجزي عنّي خير الجزاء كل من أجرى لي على يديه فائدة أعانت على إنجاز هذه الرسالة، سواء أمدني بمرجع، أو أرشدني إلى فكرة، أو توجه إلى الله تعالى بدعوة صادقة ذلّل الله بها عناء البحث، أو أسدى لي نصيحة أضاءت لي الطريق، أو تقويت بها على أداء هذا العمل، إلى هؤلاء جميعًا خالص الشكر ووافر الثناء.

–..———..———..–
–..———..———..–
–..———..———..–

الباحث

ملخص الدراسة

"تطور المذهب الاعتزالي بعد القرن الرابع الهجري"

تقوم هذه الدراسة على رصد ظاهرة التطور الفكري داخل المذهب الاعتزالي، والوقوف على أهم أسبابها وفوائدها ومراحلها.

وقد احتوت الدراسة على العديد من النماذج التي تُبيّن هذه الظاهرة وتثبتها من خلال وثائق المعتزلة ونصوصهم بعيدًا عن نقول الخصوم وما سطرته مصنّفاتهم، والتي لم تخل - في الغالب- من تجريح وتسفيه وتتبع للسقطات والأقوال الشاذة لآحاد المعتزلة، وجعل مثل هذه الزلات السمة العامة للمذهب، وليست أقوالاً خاصة بأصحابها لا تعبّر عن عموم المذهب والنطق باسمه.

ومن أبرز القضايا التي تمت معالجتها في هذه الدراسة: تطور الموقف الاعتزالي فيما يخص النظر إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والصحابة الكرام، وقضيتي الوجود والعدم والصفات الإلهية، كما تطرقت الدراسة إلى التطور الفكري الذي جدّ على دراسة التحسين والتقبيح العقليين، واللطف الإلهي والصلاح والأصلح، وأفعال العباد، والسمعيات.. .

وقد ثبت - بما لا يدع مجالاً للشك- أن المذهب الاعتزالي قد داخله تطورٌ فكري مُنظّم في أغلب قضاياه، وشهد تأثرًا وتأثيرًا وحذفًا وإضافة لبعض القضايا والمسائل عبر مراحل المذهب المتلاحقة، واتّضح أنّ المعتزلة لم يثبتوا تمامًا على المنهج الذي ورثوه عن أسلافهم، وإنّما خضع لمراجعة موضوعية بعيدة عن التعصب المذهبي، وصاغوا أفكارهم صياغة جديدة استجابة لعوامل عدة سواء السياسية منها أو الثقافية أو المذهبية أو الفطرية...

كما ثبت أنّ الفكر الاعتزالي - في غالبه- ليس فكرًا دخيلاً على البيئة الإسلامية، وإنّما هو فكر نابعٌ من قلب الإسلام، ومستند إلى تعاليمه وناطقٌ بلسانه، وكثيرًا ما كان هذا الفكر حائط الصد المنيع للإسلام أمام هجمات المُلحدين والمُتشككين والزنادقة سواء ممن كانوا يعيشون في الدولة الإسلامية أو خارجها.

ملخص الدراسة

"تطور المذهب الاعتزالي بعد القرن الرابع الهجري"

تقوم هذه الدراسة على رصد ظاهرة التطور الفكري داخل المذهب الاعتزالي، والوقوف على أهم أسبابها وفوائدها ومراحلها.

وقد احتوت الدراسة على العديد من النماذج التي تُبيّن هذه الظاهرة وتثبتها من خلال وثائق المعتزلة ونصوصهم بعيدًا عن نقول الخصوم وما سطرته مصنّفاتهم، والتي لم تخل - في الغالب- من تجريح وتسفيه وتتبع للسقطات والأقوال الشاذة لآحاد المعتزلة، وجعل مثل هذه الزلات السمة العامة للمذهب، وليست أقوالاً خاصة بأصحابها لا تعبّر عن عموم المذهب والنطق باسمه.

ومن أبرز القضايا التي تمت معالجتها في هذه الدراسة: تطور الموقف الاعتزالي فيما يخص النظر إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والصحابة الكرام، وقضيتي الوجود والعدم والصفات الإلهية، كما تطرقت الدراسة إلى التطور الفكري الذي جدّ على دراسة التحسين والتقبيح العقليين، واللطف الإلهي والصلاح والأصلح، وأفعال العباد، والسمعيات.. .

وقد ثبت - بما لا يدع مجالاً للشك- أن المذهب الاعتزالي قد داخله تطورٌ فكري مُنظّم في أغلب قضاياه، وشهد تأثرًا وتأثيرًا وحذفًا وإضافة لبعض القضايا والمسائل عبر مراحل المذهب المتلاحقة، واتّضح أنّ المعتزلة لم يثبتوا تمامًا على المنهج الذي ورثوه عن أسلافهم، وإنّما خضع لمراجعة موضوعية بعيدة عن التعصب المذهبي، وصاغوا أفكارهم صياغة جديدة استجابة لعوامل عدة سواء السياسية منها أو الثقافية أو المذهبية أو الفطرية...

كما ثبت أنّ الفكر الاعتزالي - في غالبه- ليس فكرًا دخيلاً على البيئة الإسلامية، وإنّما هو فكر نابعٌ من قلب الإسلام، ومستند إلى تعاليمه وناطقٌ بلسانه، وكثيرًا ما كان هذا الفكر حائط الصد المنيع للإسلام أمام هجمات المُلحدين والمُتشككين والزنادقة سواء ممن كانوا يعيشون في الدولة الإسلامية أو خارجها.

الكلمات الدالة: [المعتزلة، الملاحمية، التطور الفكري، الثابت والمتحول، التحسين والتقبيح العقليين، الصلاح والأصلح، التولد].

المقدّمة

المقدمة

الحمدُ لله الذي لا يبلُغ مِدحته المادحون، ولا يُحصي نَعماءه العادّون، ولا يُؤدي حقه المُجتهدون، لم يُطلع العقول على كُنه صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فأوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ والآل، ثمّ الرضا عن الصحب والأتباع، وبعد،

فإنّ الحاجة لدراسة الفرق والمذاهب الإسلامية تزداد يومًا بعد يوم، لا بهدف العرض التاريخي وسرد الوقائع والأفكار فحسب، وإنّما بقصد الوقوف على الأدوار والتطورات الفكرية التي تعاقبت عليها، وهو أمرٌ شغل بال الدارسين اليوم من أجل التقريب بين المذاهب الفكرية، وإزالة الضباب الكثيف الذي يحجب الرؤية في النظر إلى ما حدث في علم الكلام من خلاف وتنابز، وأن يكون لذلك أثره في وحدة الرؤية والهدف لدى المُدافعين عن العقيدة الإسلامية اليوم تجاه الأعاصير التي تهب من الشرق والغرب، بل من بعض أبناء المسلمين المنتسبين إليهم والمتكلمين بألسنتهم.

ومن المعلوم أنّ الفكر البشري فيه جوانب ثابتة وجوانب متطورة، أو فيه -على الأصح- صور وأشكال متغيرة وجواهر وأصول ثابتة، ومن الثوابت في تراثنا الفكري ما يخص جانب العقيدة الإسلامية، ويُعدُّ الاستقرار والثبات من أهم ما يُميّز هذه العقيدة؛ "بحيث لا يُمكن القول بخضوعها لأي ضرب من التطور البتة. إنها توقيفٌ لا توفيق، ووحيٌ مُنزل مُطلق الصدق، لا نسخ فيه ولا تبديل، إنّها حقائق أزلية، لا يَعْتورها التغير ولا يلحقها التطور"[1]، والمطلوب - على الدوام- ثباتها واستقرارها لتستقر معها الحياة وتطمئن القلوب والعقول.

لذلك يُمكن القول: "بأنّ الثقافة الإسلامية ليس فيها شيء اسمه تاريخ العقيدة الإسلامية، يتوقف عليه فهم هذه العقيدة أو عرضها اليوم على الناس؛ لأنّها واحدة كما أنزلها الله تعالى... وأمّا التأويلات التي ذهبت إليها الفرق الإسلامية المختلفة، أو بعبارة أدق: الفهوم الخاصة ببعض عصور التاريخ الإسلامي، فليست ضرورية، أو لازمة لفهم النصوص القرآنية التي تناولت هذه العقيدة، فضلاً عن أن تكون قاضية على هذه النصوص أو حاكمة عليها"[2]، ولهذا

---

[1] د.محمد عبد الفضيل القوصي، **تطور الفكر الكلامي عند إمام الحرمين الجويني**، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ودار الكرز للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، صـ٥. د. عبد الحليم محمود، **الإسلام والعقل**، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٦م، صـ١٥٣.

[2] د. عدنان محمد زرزور، **التاريخ بين ثقافتين**، بحث بحولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد الثامن، ١٩٩٠م، صـ٢٧٨.

يُمكن مناقشتها والرد على أصحابها، مهما بلغت شهرتهم ومكانتهم، إذا وقع فيها ما يُخالف النصوص الشرعية صراحة أو ضمنًا، وتبقى هذه الاختلافات في الأفهام والاجتهادات محكومة لا حاكمة، على حين تظل النصوص حاكمة لا محكومة، ومتبوعة لا تابعة، وقاضية لا مقضيًّا عليها، وكل ذلك بفضل حفظ الله تعالى لمصادرها من التحريف والتبديل.

وهذه المتغيرات التي نتجت عن كل ما يتعلق بمحاولة فهم هذه الأصول، أو الفكر الدائر حولها من قريب أو من بعيد، يُمكن أن نطلق عليها مجموعة "المنظومات الفكرية التي تبلورت حول العقائد الثابتة، تلك المنظومات التي تتصف لا بالمطلقية والثبات اللذين تتسم بهما العقائد ذاتها، بل بالاتساق والتماسك الداخلي بين مكوناتها ولبناتها، تنظيرًا للعقائد تارة، ودفاعًا عنها تارة أخرى، وبرهنة عليها تارة ثالثة".[١]

ولمّا كانت حياة الإسلام ليست محدودة بزمان أو مكان، إذ كانت دعوته ممتدة رأسيًّا عبر أربعة عشر قرنًا من الزمان، وأفقيًّا عبر حدود وأماكن مثّلت أطلالاً للخلافات المندرسة، كان لابد وأن يحدث تطورٌ في فهمها، "فأيُّ تغير يستدعي تطورًا أكثر مما تستدعيه دعوة وحياة تريد لنفسها أن تعمر ذلك العمر الأبدي في الأمكنة كلها، مع هذه الأزمنة على طولها؟"[٢]، فالعقيدة الإسلامية واحدة، ولكنّ الاختلافَ في الفهم والتفسير والبيان متأتٍ من انتشار الإسلام، واختلاف معتنقيه في الأجناس والأعراق واللغات.[٣]

وقد تعدّدت الفهوم والاستنتاجات التي انطلقت توضّح أصول العقيدة الإسلامية وتنتصر لها ضد شانئيها ومنتقصيها، وبالتأكيد فإنّ هذه التفسيرات كانت تتخذ أشكالاً متعددة تبعاً للمؤثرات الثقافية واستجابة للتحديات الفكرية الداخلية والخارجية على حدٍّ سواء، وبالتالي فلا غرابة أن نجد تطورًا وتحولاً وتأثرًا وتأثيرًا في هذه المُتغيرات والفرعيات.

ولقد كان المذهب الاعتزالي من بين المذاهب الإسلامية في تعدد تفسيراته واستنتاجاته لما يحويه الأصل العقدي، من خلال انفتاحه المسئول على التراث البشري، وحرية التفكير والدعوة إلى الاجتهاد ورفض التقليد؛ فلم يكن رجالات المعتزلة نسخًا متكررًا، ولم يكن اللاحق

---

[١] د.محمد عبد الفضيل القوصي، **تطور الفكر الكلامي عند إمام الحرمين**، صـ٦. د.غوستاف لوبون، **الآراء والمعتقدات**، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٥م، صـ١٦١.

[٢] أمين الخولي، **المجددون في الإسلام**، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٨م، صـ٤٤.

[٣] انظر: عباس محمود العقاد، **التفكير فريضة إسلامية**، الطبعة الأولى، دار القلم، القاهرة، د.ت، صـ٨٤. د. عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، صـ١٥٦. محمد العروسي، **أسس التطور والتجديد في الإسلام**، ضمن دراسات إسلامية، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١، صـ١٨١، ١٩٩.

منهم يُردّد ما قاله السابق في رتابة وآلية، بل نستطيع أن نقرّر - فيما يُشبه الثقة - أنّه قد كان بينهم اختلاف وائتلاف وتعدد وتوحد، وبالتالي فليس مستغربًا أن ينكشف المذهب الاعتزالي عن كثير من الخلافات والانقسامات والنقد الذاتي.. .

ولا شكّ أنّ ظاهرة التطور الفكري داخل المذهب الاعتزالي تُثير من الإشكالات والاحتمالات بقدر ما تحمل من الحلول والإجابات، وقد جاءت هذه الدراسة لتكشف اللثام عن هذه الظاهرة في الفكر الاعتزالي، وتقف على أهم أسبابها وفوائدها ودورها في تضييق هوة الخلاف مع أهل السنة والجماعة، وقبل أن أدلف إلى الحديث عن أهمية الدراسة التي أقدم بين يديها، يلزمني أن أحرِّر المقصود من العنوان الذي اتخذته لها:

"تطور المذهب الاعتزالي بعد القرن الرابع الهجري"

فأمّا كلمة "تطور" فإنها تعني: "نمو بطيء متدرج يؤدي إلى تحولات منظمة ومتلاحقة تمر بمراحل مختلفة يؤذن سابقها بلاحقها، كتطور الأخلاق والأفكار، ولا يكون التطور مسبوقًا بتخطيط، بخلاف التقدم الذي يكون مسبوقًا بالإعداد والتخطيط".[١]

والدلالة الحديثة للفعل "تطوَّر" والمصدر "تطوُّر" تُفيد مُطلق التغيير في شيء ما عن حاله في الماضي، وهناك أيضًا الفعل المتعدي "طوَّر" والمصدر منه "التطوير" للدلالة على القيام بتغيير شيء ما عمّا كان عليه في الماضي.[٢]

فالتطور في اللغة - إذن- يعني التحول والتنقل من موضع إلى آخر، أو من طور إلى طور، ومنه قول الله ﷻ: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾.[٣]

والمقصود من استعمال كلمة "تطور" في عنوان هذه الرسالة، هو الدلالة على مطلق التغيير الذي طرأ على الفكر الاعتزالي في قضايا المذهب، والتي غالبًا ما يكون بنقدها أو بالإضافة إليها أو الاستغناء عنها.

---

[١] مجمع اللغة العربية بمصر، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٣م، صـ٤٧، مادة (تطور). انظر: جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م، جـ١، صـ٢٩٣ بتصرف يسير.

[٢] مجمع اللغة العربية بمصر، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م، صـ٥٦٩-٥٧٠.

[٣] **سورة نوح**، الآيتان (١٣، ١٤).

أمّا "المذهب" فيُعبّر عن المعتقدات والآراء التي دان بها[١] أئمة الاعتزال الأُصلاء، وكانت تُتداول بين الشيوخ والتلاميذ بحيث تُشكّل وحدة عضوية منسقة ومتماسكة،[٢] وبالتالي فليس من غرض الدراسة تتبع الأفكار الاعتزالية وتطورها خارج إطار المدرسة الاعتزالية الأصيلة؛ ولذلك جاء التعبير بـ "المذهب" ولم يأتِ بـ "الفكر" تأكيدًا على هذه الناحية.

أمّا عن القيّد الزماني لهذه الدراسة فقد كان بدايته بعد القرن الرابع الهجري، وما ذلك إلا لأنّ مُعظم الكتابات التي وصلتنا عن المعتزلة كانت لشخصيات في هذه الأثناء، كما أنّ هذه الفترة تمثل النضج الحقيقي للمذهب الاعتزالي؛ بالإضافة إلى أنها اختزنت الحصيلة الفكرية للمذهب عامة، وهذا لا يَعني أنّ الدراسة قد أهملت آراء الشيوخ السابقين، بل إنّ الإشارة إلى آرائهم من الأهمية بمكان، لأنه لا يُمكن أن يقوم للتطور قائمة إلا إذا وقفنا على آراء السابقين بصورة مرتبة مُتدرجة زمنيًا، وبدون هذا الترتيب الزمني يكون الحديث عن التطور رجمًا بالغيب وتخرصًا على غير هدى.

أمّا عن عدم تحديد زمن نهاية الدراسة، فيرجع ذلك إلى عدم تحديد الزمن الذي انتهى عنده المذهب الاعتزالي، ومن هنا فقد رأى أساتذتي الكرام أن يُترك تحديد القيد الزماني من جهة النهاية، على أن تكون النهاية عند آخر علم من أعلام المعتزلة الأصلاء، وكان الهدف من هذا الإجراء استيعاب الدراسة جميع الشخصيات الاعتزالية، سواء من ظهر منهم ووصلتنا مصنفاتهم أو من سيظهر مستقبلاً، وإلا فإنّ العنوان الذي تقدمت به قبل هذا التعديل هو: "تطور المذهب الاعتزالي فيما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين".

أهمية الموضوع وسبب اختياره

أولاً: تبرز أهمية هذا الموضوع من كونه يجيب عن تساؤلات مهمة ومُلحة تكشف عن جوانب الأصالة والتطور في الفكر الاعتزالي.

ثانيًا: الكشف عن بعض جوانب النقد الاعتزالي الذاتي، وأهميته في تحرير المذهب من الآراء المتطرفة والمنحرفة على حدٍ سواء.

ثالثًا: تقديم المذهب الاعتزالي في صورته الإسلامية الحقيقية من خلال وثائق المعتزلة ونصوصهم، بعيدًا عن آراء الخصوم، والإلزامات المذهبية البغيضة.

رابعًا: الكشف عن آراء الفرق الاعتزالية التي أعقبت مدرسة القاضي عبد الجبّار

---

[١] انظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥، جـ١، صـ٣٩٤، مادة "ذهب". أبو البقاء، **الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٩٨م، صـ٨٦٦. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، جـ٢، صـ٣٦١. مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، صـ١٧٤.

[٢] انظر: جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، جـ٢، صـ٣٦١.

الهمذاني سواء الحسينية أو الملاحمية، والوقوف على دورهما في التفاعل الفكري مع الفرق والمذاهب الأخرى.

خامسًا: الكشف عن دور متأخري المعتزلة في تضييق هوة الخلافات المذهبية من خلال النقلات والتطورات التي أحدثوها في المذهب عبر مراحله المتلاحقة.

سادسًا: قلة الدراسات التي تناولت هذه القضية المهمة إذا ما قورنت بالكتابات الكثيرة التي تناولت جوانب أخرى متعددة من الفكر الاعتزالي، كما أنّ معظم ما قُدّم في هذا المجال دراسات جزئية وإشارات سريعة لا تُعبِّر عن التطور كظاهرة عامة في المذهب الاعتزالي.

ولا أستطيع ادعاء أنني بهذه الأطروحة صاحب كشف جديد، أو مرتاد أرض لم يرتدها أحد من قبل، فموضوعها "الفكر الاعتزالي" وقد حظي بالكثير من الدراسات الأكاديمية التي سبقت على الطريق، فمهّدت وذللت الكثير من الصعاب، وأمثّل لهذه الدراسات المهمة - التي يصعب حصرها؛ إذ لا يتسع المقام لذلك- بما يلي:

أ- الدكتور عبد الكريم محمود عثمان، **القاضي عبد الجبّار الهمذاني وآراؤه الكلامية**، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٥م. (منشورة)

ب- الدكتور محمد السيّد الجليند، **مشكلة الخير والشر بين المعتزلة والأشاعرة**، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٨. (منشورة)

ج- الدكتور محمد عمارة، **مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة في ضوء سبع رسائل في العدل والتوحيد**، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧١م. (منشورة)

د- الدكتور سعيد جمعة مراد، **ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الزقازيق. (منشورة)

هـ- الدكتور محمد صالح محمد السيد، **خلق العالم عند المعتزلة**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٧٩م. (غير منشورة)

و- د. مختار عطا الله، **منهج المعتزلة في مجادلة علماء الملل المخالفة حتى القرن الخامس الهجري**، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، ١٩٩١م. (غير منشورة)

ز- الدكتور سيد ميهوب، **أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الزقازيق. (منشورة)

وهذه الجهود الطيبة وأمثالها لها فضل تمهيد السبيل لهذه الدراسة، التي ما كان لها أن تبلغ من طموحها شيئًا دون أن تفيد من هذه الدراسات المباركة، وتقف على نتائجها لتستكمل نقصًا أو تجبر عيبًا، أو تعيد النظر إلى المسألة بمنظار جديد.